الفصل العاشر

قالوا لفاروق : ولد ..
فأبعد الأطباء وسيدة ليخرج ابنه إلى النور !

أخذت الحوادث تجرى بسرعة بعد عودتنا إلى القاهرة.

وأنتقل الملك من قصر القبة إلى قصر عابدين.. حتى يتسنى لناريمان أن تلد فى مقره الرسمى.

وكان يقول لنا: أنا أتولدت فى قصر عابدين.. ولازم إبني يتولد هو أيضا فى عابدين.

وتنفيذا لتعليمات الملك أعدت بسرعة داخل القصر حجرة عمليات كاملة للولادة تكلفت أكثر من ١٥ ألف جنيه فى تلك الأيام.

وزودت هذه الحجرة بكل معدات البنج والتعقيم، وبكل الأدوات الجراحية التى يمكن أن يحتاج إليها الأطباء أثناء عملية الولادة.

وقام القصر فى نفس الوقت باستدعاء ممرضتين من ألمانيا الغربية لتشرفا على المولود بعد ولادته.

وكان أسم إحداهما مس آن رشرسيد، واسم الثانية مس جانيت دى مبيو. وظل الملك ينتظر فى قصر عابدين، وهو فى أشد حالات القلق والانزعاج..

كان يريد من ناريمان أن تلد له ولدا بفارغ الصبر.

ولا أظن أنه قد تبادر إلى خاطره فى أى لحظة احتمال أن يكون المولود المنتظر بنتا.

كان تفكيره غريبا وشاذا، وقد تزايد يقيني بأن كل الترتيبات التى أعدها الملك لم تكن من أجل راحة ناريمان بقدر ما كانت للاطمئنان على سلامة المولود الجديد.

ولا أعرف من أين عرف الملك أن أصيلة هانم قد لاقت عسر ولادة كاد أن يودى بحياتها أثناء ولادتها لناريمان، وأنها قد بقيت مريضة فى فراشها لمدة تزيد على التسعة أشهر بعد أن أتمت عملية الولادة، فقد أخذ يروى ذلك لكل من يقابله، وهو يقول:

- أنا خايف ناريمان تعملها زى أمها.

كان فى أشد حالات القلق بحيث كان يقول لناريمان دائما:

- إذا جبتي بنت تبقى مصيبة.. أوعى تعمليها أحسن أخرب بيتك..

وكانت ناريمان تسمع ذلك من فاروق، فلا ترد عليه.

كانت تنسحب من أمامه ثم تذهب إلى حجرتها وتبكى.

ولم يكن يهم فاروق أن تتحطم أعصاب زوجته الملكة فى أشهر حملها الأخيرة..

* * *

وأذكر أننى دخلت مرة على الملك فوجدته يعد أمامه كشفا يحتوى على أسماء غالبية أفراد أسرة ناريمان.

وأخذ الملك يراجع هذه الأسماء ثم أشار لى لكى أقترب منه.. وهو يقول لى:

- تعالى شوف ياسيدى الحكاية ديه.. ديه حاجة تجنن صحيح..

وكان طبيعيا أن أتوجس خيفة عندما اقتربت منه، ولذلك بادرت أقول له:

- خير إن شاء الله.. حصل إيه؟

قال الملك: خير إيه وبتاع إيه.. شوف ياسيدى أبو ناريمان جاب بنت.. وأخوك محمد راخر مخلفش إلا بنت.. وأنت كمان جايب ولد.. وبقية خلفتك بنات.

أدركت ما كان يخامر فكر الملك، فقد تصور أن عائلتنا لا تنجب إلا البنات وكان أن بادرته بقولى:

- ولكن دى مسألة قسمة ونصيب.. وكل اللى يجيبه ربنا كويس.

قل الملك: والله أنا خايف تكون الحكاية وراثية؟

قلت له: ربنا يطمنك ويجيب لك ولد.

قال الملك: هو بس كده.. أنا كمان ياسى مصطفى.. أديك زى مانت شايف كل خلفتى بنات فى بنات.

وابتسمت، وأنا أدير وجهى إلى الناحية الأخرى، حتى لا يلمح الملك ابتسامتي ولم أقل شيئا.

* * *

أنتابت الملك ثورة نفسية جامحة عندما تذكر أن كل خلفته بنات فى بنات .

قال لى: الحكاية واضحة زى الشمس.. وناريمان مش حاتجيب إلا بنت.

قلت له: بإذن الله ربنا يطمنك.. وتجيب ولد.

واستطردت أقول له حتى أهدئ الثورة التى أنتابته فجأة:

- عموما دى حكاية بتاعة ربنا.

ولكن فاروق لم يهدأ وكان أن أخذ يلوح فى وجهى قائلا:

- تعرف لو عملتها ناريمان وجابت بنت أعمل فيها أيه؟

سكت ولم أقل شيئا، وأنا أحاول أن أنتقل بالحديث إلى أى موضوع آخر:

ولكن الملك استطرد يقول:

-حاولع فيكم كلكم نار.

هكذا بقيت حكاية الولد أو البنت عالقة بذهن الملك.

كانت تشغل كل تفكيره، وخاصة فى أيام الحمل الأخيرة.

كان يريد ولدا بأى ثمن.

وكانت ناريمان تعرف ما يدور فى خاطر الملك، ولذلك بقيت ساكتة، ولا تقول له شيئا.

وكانت كلما رأتني انخرطت فى البكاء.. وفى إحدى المرات قالت لى ناريمان:

- افرض جبت له بنت.. إيه ذنبي أنا يأونكل.. حأعمل له إيه.

وحاولت أن أطيب خاطرها، وأنا أقول لها:

- شدي حيلك أنت بس يا ناريمان.. ولنا رب.

لم يكن فى وسعى إلا أن أقول لها ذلك، وأنا فى أشد حالات التأثر لحالتها ولم أنتظر، وبادرت بالابتعاد عنها..

obeikandl.com

وأذكر إنه قد تبادر إلى ذهنى فى تلك اللحظة خاطر غريب.

قلت لنفسى: ما الذى يمكن أن يفعله الملك بنا إذا ما خيبت ناريمان أمله فى أن تنجب له الولد الذى يريده.

إن أقصى ما يستطيع أن يفعله هو أن يتزوج فتاة غيرها أو أن يطلقها. وأخذت الهواجس تنتابني عندما أخذت أتساءل:

- وماذا يمكن أن يحدث لو تعسرت الولادة أثناء عملية الوضع، وكان المولود ولد كما يريد الملك.

لقد أعد الملك حجرة عمليات كاملة، وقد قام بتزويدها بجميع أدوات الجراحة. وقلت لنفسى: لقد جرت العادة أل يضحى الأطباء فى حالة الخطر بحياة المولود لكى يبقوا على حياة الأم.

وتصورت ما قد يحدث عندما يقرر الملك أن يضحى بالأم.. من أجل المولود.. وكان هذا هو سر قلق ناريمان.

وحدث قبل أن تلد ناريمان بعشرة أيام فقط، أن وضعت زوجتى وكانت حاملا، مولود أنثى.

وتشاءم فاروق لأننى أنجبت هذه المولود الأنثى.. وقد أشتد قلقه وأنتابته حالة رعب مثيرة بحيث أنتهز أول فرصة ليقول لناريمان:

- والله حتجيبى بنت زى مرات عمك.. وده تبقى مصيبة كبيرة.

وألتفت الملك ناحيتى ثم قال لى أنا أيضا أمام ناريمان:

- جاك داهية يا سى مصطفى.. شاطر تجيب بنت دلوقتى.. كان لازم تستنى لما تولد ناريمان علشان متقلدكوش!.

البلد مقلوبة.. والملك نائم:

وجاء اليوم الذى ظل فاروق يترقبه بقلق شديد..

وكنت قد ذهبت لألحق بالملك فى نادى السيارات كعادتى فى كل يوم.

وقال لى أحدهم إنه لم يسهر فى النادي كعادته.. وأنه قد ترك النادى مبكرا لسبب لا يعرفه أحد.

وكان أن تصورت أن شيئا قد وقع لناريمان.

ولم أنتظر، وبادرت بالتوجه إلى القصر الملكى.

وصعدت رأسا إلى جناح الملكة لكى أطمئن على صحتها.

ولم يكن فاروق قد عاد إلى القصر، فبقيت أتحدث معها فى حجرة نومها ما يقرب من نصف الساعة..

وجاء الملك.. وكان يبدو فى أشد حالات القلق والانزعاج..

وعرفت منه السبب.. لقد عاد إلى مكتبه، ليجد عدة تقارير فى انتظاره..

وألقى الملك بنفسه على أحد المقاعد..، وهو يقول لى:

- البلد مقلوبة.. وإحنا نايمين.

ولم يكمل الملك كلامه، فقد قامت ناريمان من المكان الذى كانت تجلس فيه ثم اتجهت ناحية سريرها لتستلقي عليه.

كانت تريد أن تستريح.

وفجأة قبل أن تصل إلى السرير صرخت من ألم مفاجئ.

وأسرعت أنا والملك لنساعدها.

وكان الملك أسرع منى.. فحملها بين يديه ثم أرقدها فوق السرير.

obeikandl.com

والتفت فاروق ناحيتى وهو يقول لى:

- يظهر حيكون عندنا شغل كثير الليلة.

وأدركت ما كان يعنى.. إن ناريمان قد جاءها المخاض!.

* * *

وأسرع الملك إلى (سويتش) التليفون، وجلس أمامه ثم أخذ يتصل بالأطباء بنفسه.

وكان الملك قد أعد كشفا بأسماء كل الذين يجب إستدعاؤهم عندما تحين ساعة الولادة.

وكان أن اتصل بالدكتور أحمد النقيب فى الإسكندرية وقال له:

- لازم تيجى بسرعة.

واستقل الدكتور النقيب طائرة خاصة إلى القاهرة ليصل إليها فى أقل من ساعة ونصف.

واتصل الملك أيضا بالدكتور إبراهيم مجدى فى منزله وكان يسكن على ما أذكر فى شارع نوال بالدقى.

وكان الدكتور إبراهيم مجدى نائما، ولما أيقظوه قال له الملك:

- ألبس بسرعة.. وعربية من السراية جاية تجيبك.

ثم أشار إليّ لكى أعطى أمرا إلى الجراجات الملكية لتبعث بسيارة إلى بيت الدكتور مجدى لتحمله بسرعة إلى القصر.

واتصل الملك بالدكتور عبد الحكيم طبيب البنج ثم قام بإستدعائه بنفسه. ثم اتصل بالدكتور يوسف رشاد، وبالدكتور

opelkandi.com

عباس الكفراوى.. وبقية الأسماء التى كان قد أدرجها فى الكشف.

لقد استدعاهم جميعا بنفسه!

* * *

استغرقت هذه العملية عشر دقائق.

وكان الملك يبدو كالمحموم، وهو يتصل بكل هؤلاء الأطباء.

كان قلقا.. وفى حالة غير طبيعية.. وكان يتكلم ـ كما يقول المثل ـ بسرعة ألف كلمة فى الدقيقة.

وفجأة تذكر الملك أنه قد نسى حسن يوسف وكيل الديوان الملكى، قال... إنه لم يتصل به، وكان أن عاد مرة أخرى إلى (سويتش) التليفون وأخذ يدق له جرس التليفون فى بيته.

ولم يرد (حسن يوسف) فقد كان يغط فى نوم عميق.

وأخذ الملك يشتم ويلعن وهو يقول:

- لازم يصحى.. لازم ييجى.. مين يعمل إجراءات إعلان ولادة ولى العهد.

وفشلت كل المحاولات لإيقاظ حسن يوسف.

ولم يكن من الملك إلا أنه أستدعى أحد ضباط الحرس الملكى ثم قال له:

- روح بيت حسن يوسف فى الزمالك واكسروا باب شقته وهاتوه.

واصطحب الضابط عددا من عساكر المطافئ وجنود الحرس الملكى، ثم توجه معهم إلى بيت حسن يوسف..

obeikandi.com

وتنفيذا لتعليمات الملك قام الضباط وجنود الحرس الملكى بكسر باب الشقة، ثم دخلوا على حسن يوسف ليجدوه نائما.

وفوجئ حسن يوسف يالضابط وهو يهزه من كتفيه وهو فى سرير النوم..

ثم يطلب إليه أن يستيقظ ليذهب إلى القصر بناءا على أمر الملك.

ولا أظن أن حسن يوسف يمكن أن ينسى فى حياته حالة الانزعاج التى أصيب بها فى تلك الليلة ! .

ممنوع سماع الملكة وهى تصرخ:

أعود إلى ناريمان.. لقد تركناها فى حجرتها فى رعاية الممرضتين الألمانيتين.

كانت تتأوه من الألم بعد أن جاءها المخاض. ولم تمر ساعة واحدة حتى أخذت ناريمان تصرخ بسبب آلام الطلق.

وأمر الملك بإخلاء الممرات المؤدية إلى جناح الملكة من رجال الحرس الملكى، فقد عز عليه وهو ملك.. أن يستمع جنود الحرس الملكى إلى صراخ زوجته الملكة بسبب آلام الطلق.

وبقينا ننتظر، ونحن فى أشد حالات القلق والانزعاج، حتى وصل الأطباء وكان رأيهم بأن عملية الولادة يمكن أن تتم عند الفجر.

وفى الوقت المحدد قام الأطباء بنقل ناريمان إلى حجرة الولادة.. وكانت مفاجأة عندما لبس الملك بالطو أبيض، ثم قام بوضع قناع من الشاش المعقم. فوق وجهه..

وأدركت هدفه.. كان يريد أن يكون أول من يعرف إن كان المولود ولدا أو بنتا.

وانهارت أعصابي.. وأنا واقف بجوار حجرة العمليات.

وأخذت فى تلك الأثناء أردد كل ما تبادر إلى ذهنى من آيات القرآن الكريم كما قمت بقراءة سورة (ياسين) أكثر من مائة مرة وكنت بين الآونة والأخرى أقول لنفسى ربنا يستر لأن الله يعلم ماذا يمكن أن يحدث لو عملتها ناريمان وجابت بنت..

كانت الدقائق فى تلك الأثناء تمر ببطء.

وبقينا طوال الليل ساهرين ننتظر.

وكان الملك لا يزال فى حجرة العمليات مع الأطباء..

وتسرب الخبر إلى خارج القصر أثناء الليل.

وأخذ أفراد عائلة ناريمان يتصلون بالتليفون للاستفسار عما إذا كانت ناريمان قد أتمت عملية وضع مولودها.. وعما إذا كان هذا المولود ولدا.. أم بنت.

وفى حوالى الساعة الخامسة عند الفجر خرج أحد الأطباء من حجرة العمليات ثم همس فى أذنى بعدة كلمات.

قال لى: الملك بيقولك.. بلغ الإذاعة علشان تستعد.

قلت له: الإذاعة تستعد على إيه.. ولد؟

قال: الله أعلم فالولادة لم تتم بعد وإن كان الملك قد سأل الدكتور مجدى عما سيكون عليه المولود.. وقد رد عليه مطمئنا: غالبا ولد.

وكاد الملك أن يفقد سيطرته على أعصابه فى داخل حجرة الولادة فأخذ يرقص من الفرح.

ولم تكن الولادة قد تمت بعد!

* * *

وفى حوالى الساعة السادسة خرج الملك من حجرة الولادة.

كان لا يزال لابسا البالطو الأبيض، ويضع القناع الشاش على وجهه.

وكان البالطو ملطخا ببقع الدم.

ورآني الملك فقام بإزاحة قناع الشاش الذى كان يغطى وجهه، ثم صاح بأعلى صوته:

مصطفى تعالى بوسني.

واندفعت ناحيته، كما أندفع إليه كل أفراد العائلة الذين كانوا إلى جوارى.

وكان واضحا أن المولود قد جاء كما تمنى فاروق.. وأنه ولد، ولم أنتظر فأخذت أحتضن الملك وأقبله.

وكدت أن أفقد وعى فى تلك اللحظة من السعادة التى انتابتني.

واستطرد الملك يقول وهو ما يزال يصرخ:

أنا مش عبيط زيك أجيب بنات.. أنا جدع... وبأخلف صبيان!.

وانتشر الخبر فى القصر .. إن فاروق قد أنجب ولدا لأول مرة فى حياته.

obeikandl.com

واندفع الجميع يهنئونه ويباركون له.

وانفجرت بعض السيدات يبكين بطريقه هستيرية من شدة الانفعال. وأخذ الملك يقهقه ويضحك من شدة الفرح..

ومما سمعته إنه قد ساهم فى عملية ولادة أبنه.

كان واقفا إلى جانب الأطباء عندما اشتد الطلق وأخذت ناريمان تلد وفجأة صرخ الدكتور مجدى قائلا:

ولد.. يا مولاى.

ولم ينتظر فاروق، وبادر بإزاحة الأطباء جانبا ثم قام بإخراج الولد بنفسه إلى النور !.

علم ولى العهد:

هدأت أعصاب الملك بعد فترة من الوقت، وكان يبدو سعيدا لأن ناريمان أنجبت له مولود ذكرا.

وأذكر إنه قام باستدعاء حسن يوسف، ثم طلب إليه اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعلان مولد ولى العهد.

وقرر الملك فى نفس الوقت أن يرفع علما خاصا بولي العهد فوق القصر إلى جوار علم الملك.

ولكن رجال البروتوكول فى القصر إعترضوا.

قالوا له: لا يليق أن يرفع علم ولى العهد إلى جوار علم الملك.

وكان رأيهم أن مرسوما ملكيا كان قد صدر أثر تولية فاروق العرش يمنع رفع علم الأمير السابق محمد توفيق ولى العهد وقتئذ إلى جوار علم الملك.

وثار الملك فى وجه رجال البروتوكول، وهو يقول لهم:

obeikandl.com

- بروتوكول إيه.. وبتاع إيه.

وتدخلت لأقول للملك:

- بسيطة.. تطلع مرسوم جديد يلغى المرسوم القديم.. ونرفع علم ولى العهد.

وانبسطت أسارير الملك لاقتراحي وبادر يقول بسرعة:

- والله فكرة.. يطلع مرسوم جديد فى الحال..

ثم أمسك الملك بسماعة التليفون، وطلب إلى حسن يوسف إعداد المرسوم الذى إقترحته..

وصدر المرسوم فى أقل من خمس دقائق.

ورفع علم ولى العهد إلى جوار الملك!.

ودعاني الملك لتناول طعام الإفطار على مائدته، كما دعا جميع الأطباء الذين اشتركوا فى عملية ولادة ناريمان.

وجلست إلى جوار الملك، بينما أنتشر الأطباء ورجال الحاشية على طول المائدة.

وأثناء تناول الإفطار قال الملك، بصوت مرتفع حتى يسمعه الدكتور مجدى:

- إحنا عايزين نشوف لمجدى باشوية قديمة تكون مركونة على جنب علشان نديها له !

والتفت الجميع ناحية الدكتور مجدى ليجدوه مشغولا بالحديث مع الدكتور يوسف رشاد ، فلم يسمع ما قال الملك.

وكان أن أسرعت أقول له:

obeikandl.com

- اسمع يا دكتور.. شوف مولانا بيقول إيه؟

والتفت الدكتور مجدي ناحية الملك ليسمع بأذنيه الإنعام عليه برتبة الباشوية.

كانت مفاجأة.. وتوقع الجميع إنعامات ملكية جديدة.

وأسرع الملك يقول: والدكتور عبد الحليم راتب.. كمان.. نديله باشوية قديمة هو الآخر.

وتلفت الدكتور يوسف رشاد ناحية الملك متوقعا إنعاما ملكيا عليه هو أيضا ولكن الملك قال له:

- أنت كفاية نسدد لك دين القمار اللى عليك..

وهكذا قرر الملك أن يكافئ الدكتور يوسف رشاد، وكانت مكافأته هى تسديد مبلغ الألفي جنيه التى خسرها فى القمار أثناء رحلة شهر العسل.

أما أنا فقد أفلت بجلدي كما يقول المثل العامى فلم ينعم الملك على بشيء.

ميدان عابدين.. فاضي:

وأذيع الخبر.. وكان الملك يتوقع أن تخرج جماهير الشعب فى مظاهرات ضخمة لتهنئته.

وجاءت بعض الجماهير إلى ميدان عابدين.

واستمع الملك إلى هتافاتهم.. كانت باهته، ولم تكن تعبر عن الفرحة بمولد ولى العهد كما لم تكن تدل على أى حب أو ولاء.

وحملنا ناريمان على كرسى ثم قربناها من النافذة التى تطل على الميدان.

obeikandl.com

ووقف الملك إلى جوارها يراقب هذه الجماهير التى لم تعبر أبدا عن أى حماسة لمولد أبنه.

وقالت ناريمان: الميدان فاضى.

وتلفت ناحية الملك.. كان منفعلا ولذلك لم يبق طويلا أمام النافذة وبادر بالانسحاب إلى داخل الحجرة وهو يقول:

- يخلصك كده ياسى مصطفى.. الميدان فاضى خالص.

قلت له: أمال فين الجيش يا مولانا.. يمكن الجيش منتظر أوامر.

قال الملك:

- هو اللى عاوز يظهر شعوره يستنى أوامر!.

* * *

كان استعراض الجيش فى ميدان عابدين مظاهرة مفتعلة لإنقاذ الموقف.

وكنت أنا الذى أوعزت بتنظيم هذا الاستعراض.

وأذكر ما حدث عندما وقف الملك فى شرفة قصر عابدين، وهو يرتدى ملابس المشير العسكرية.. وكان يحمل أبنه بين يديه.

وأثناء الاستعراض التفت فاروق ناحية قادة الجيش الذين كانوا يقفون حوله ثم قال لهم:

- إنى أهديكم أعز ما عندى.. وهو إبني.

ونقل هذا النطق الملكى بوساطة الميكرفون إلى القوات التى كانت تصطف فى الميدان.

obeikandl.com

ولم يبق الملك فى الشرفة طويلا فقد أنسحب إلى الداخل ليسرع فى خلع ملابسه كان يشعر بضيق من الياقة كلما ارتدى الملابس الرسمية.

وخلع الملك حذاءه ثم ألقاه بعيدا.

وحاولت أن أجامل الملك.

كان يعرف أن الشعب يكرهه.. وأن الجيش يكرهه.

ولعلها أول مرة.. بعد أن أنجبت ناريمان له ولدا.. التى أدرك فيها أنه فى موقف لا يحسد عليه.

قلت للملك: والله يافندم لو أى واحد عصر مخه عشر سنين علشان يلاقى كلمة تحمل كل المعاني لما وجد كلمة زى كلمتك للجيش.

وانبسطت أسارير الملك، فأخذ يضحك، وهو يقول لى:

- إتلهى يا واد.. هو أنا جبت حاجة من عندى ده أنا كنت امبارح بأقلب فى كتاب قديم لقيت واحد من جدودي قال نفس الكلمتين دول !.

قلت له: أي واحد فى جدودك يا فندم..

قال الملك: واحد منهم وخلاص. !

برقية من فريدة:

وفى نفس الليلة استدعاني الملك تليفونيا لكى ألحق به فى نادى السيارات وهو يقول لى:

- لازم تيجى بسرعة علشان عندى خبر مهم لك.

obeikandl.com

وأسرعت إلى نادى السيارات وفى تصورى أن شيئا خطيرا قد وقع..

ودخلت إلى النادى، لأجد الملك وهو يجلس فى مكانه وقد التفت حوله جماعة من أصدقائه، وكان يضحك ويمزح مع كل من يصادفه.

كان يبدو سعيدا.

ورآني الملك فقام من مكانه، ثم أنتحى بى جانبا وهو يخرج من جيبه برقية عادية.

وتبادر إلى خاطرى أنه سيكشف لى عن سر رهيب، ولكن كانت المفاجأة عندما قام بضربي على كتفى بيده بقوة ثم ناولني البرقية وهو يقول لى:

- إيه رأيك بقى يا واد؟

وقرأت البرقية، وكانت من الملكة السابقة فريدة، وفيها تقول له بالحرف الواحد:

- أهنئك من كل قلبي بعد أن من الله عليك بولي العهد.

والتفت إلى الملك، وأنا فى أشد حالات الدهشة والانفعال، فقد كان آخر ما يمكن أن أتصوره أن تبعث إليه فريدة ببرقية تهنئة لأنه أنجب ولدا.

ورأيت بريقا عجيبا يلمع فى عينى الملك وكان واضحا إنه قد سعد كثيرا عندما تلقى تلك البرقية من الملكة السابقة فريدة..

obeikandl.com

قلت له: حاجة كويسة خالص.. وفى رأيى أنه شعور طيب منها.

قال الملك بسرعة: حاجة كويسة إيه.. أنت عارف أنا مبسوط ليه..

دول كانوا بيقولوا أننى السبب وأنني مبخلفش صبيان.

وأدركت سر سعادة الملك.. !

obeikandl.com